الناي وريح الرمل

في الصومعة

«نجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها»

***

«قابض على الريح يسيّرها كما يشاء»

— ١ — **في الصومعة**

بيني وبين الباب أقلام وحبرةٌ،
صدى متأففٌ،
كومٌ من الورق العتيقْ
هُمُ العبورِ،
وخطوة أو خطوتانِ
إلى يقين الباب، ثُمَّ الى الطريقْ

— ٢ —

كذبٌ،
دمي ينحرُّ، يشتمني، يئنُّ:
الى متى أزني، وأبصقُ
جبهتي، رئتي
على لقب وكرسيِّ
أضاجع مومياءْ؟
أنا لست منكم طعمة النسّاكِ
واللّحم المقدَّد في خلايا الصومعهْ
لن يستحيل دمي الى مصلٍ
كذبتُ، كذبتُ،
جرُّوني الى الساحات، عرُّوني
اسلخوا عنّي شعار الجامعهْ

— ١ — **الناي**

«إبني، وقاهُ الله، كنزُ أبيهِ،»
«جسرُ البيتِ، يحمل همَّنا همّاً ثقيلْ»
«...ألعامُ خلفَ الباب يا بنتي، يعودُ»
«غداً، يعود اليكِ، بعضَ الصّبرِ»
«سوف يعود، واللهُ الكفيلْ.»

— ٢ —

ولربَّما ماتتْ غداً
تلك التي يبستْ على إسمي
ومصَّ دماءَها شَبَحي
وما احتفلت بلذّات الدماءْ،
ماتت مع الناي الذي تهواهُ
يحب حزنه عبر المساءْ
ومع الورود متى ألتوتْ
بيضاءَ، ينسج عرسها ثلجُ الشتاءْ

— ٣ —

طول النّهارِ
مدى النهارْ
تنحلُّ في عصبي جنازُتها،
يؤُدُ الندبُ فيه
وما يزيح عن القرارْ:
ماتت وما احتفلتْ، وما عرفتْ
رفاهَ يد تظلّلها ودارْ.

— ١ — **ريح الرمل**

طول النّهارِ
مدى النهارْ
حمّى القفير تفور في رأسي
وطعم التبن في قلبي العليلْ
ويجزُّ في لحمي وما يدميه
سكّينٌ كليلْ

— ٢ —

ربّي! متى أنشقُّ
عن أهلي وصومعتي
وعن تلك التي تحيا تموت على انتظارْ
أطأُ القلوبَ، وبينها قلبي،
وأعبر في الجحيم
أخوض عتمتَهُ ونارَهْ
ولعلّها تنقى من الزّغَل الخبيثِ
تصحُّ في شفتي العبارَهْ

— ٣ —

دَرْبي الى البدوية السمراءِ،
واحات العجين البكرِ،
والفجوات أودية الهجيرْ،
وشواطيء الرمل المريرْ
شربُ المرارات الثقال بلا مرارَهْ
وحدي بلا جنٍّ على السمراء
يسعفني، يصوغ لي العبارَهْ
تعصى،
وليس يهزّها غضبي دمي موتي
وليس يَرُوضها
غير القويِّ بزندهِ
وبنعمة الصبر العجيبْ
ألشوك ينبت
في شقوق أظافري
ألشوك في شفتيَّ يمرج باللهيبْ

.... في وجهها
عبقُ الغريزة حين تصمت عن سؤالْ
... نهضتْ
تلمُّ غرور نهديْها
وتنفض عن جدائلها
حكايات الرِّمالْ
تحدو ، تدور كما أُشير بإصبعي
وتزوغ زوبعةً طروب
وأرى الرياحَ تسيلُ ، تنبعُ
من يديها :
منبعُ الريح المعطرة الجنوبْ
ومنابعُ الريح الرَّخية والغضوبْ ،
للريح موسمُها الغضوبْ

***

وحدي مع البدوية السمراءِ
كنت مع العبارَهْ
شرب المرارات الثقال بلا مرارَهْ

— ٤ —

وقطيع بلدان كأقبية الأرانبِ
أو كما لعب الصغارْ
ذكرى الغريبِ خرائطٌ ، رُقَعٌ
ملفَّقة وعارْ
ما بينها بلد يضيق مداه عن قَدَمي ،
وكان مداهُ مقبرةَ الجباهْ
تاريخه وَرَمٌ ، فقاعاتٌ
يطيِّرها الصبيّ على هواهْ

— ٥ —

ريح تهبُّ كما تشير عبارتي
حجزت على الريح الرَّخيةِ والجنوبْ
ولوت بكفَّيها تفجِّر منبع الريح الغضوبْ
شلاَّلُ فرسان من الصحراءِ
ريح الرمل في أجفانهم ، شررٌ غريبْ
في موسم الريح الغضوبْ مسحُ الخرائط
والسياجاتِ
العتيقة في العقولِ
وفي الدروبْ
ماذا سوى التعمير في مرمى
التراب البكرِ
بيتٌ واحدٌ يزهو بأعمدةِ الجباهْ ؟
يزهو بغابات من المُدُنِ الصبايا
لينُ أرصفةٍ وجاهْ
أيصحُّ عبر البحر تفسيخُ المياهْ ؟

— ٦ —

وأري ، أرى الطاووس
يبحر في مراوح ريشه
نشوان يبحر وهو في ظلِّ السياجْ
ولعلَّهُ استخفى وراءَ الوردِ
والثوب المزركشِ
راح يخفي العار في تكوينه والمهزلَهْ
في صدرهِ ثديانِ
ما نبتا لمرضعةٍ ولا للعانس المسترجلَهْ
ثديانِ يأكل منهما عسلاً
ويحصد منهما ذهبا وعاجْ
لو يستحقُّ صلبتُهْ
ما شأنهُ بصليبِ إيمانٍ
يسوقُ لجلجلَهْ
وكَلَتْ ريح الرملِ
تعجنه بوحلةِ شارع أو مزبلَهْ
هو والسياجْ
وطيوب ثديَيْهِ وما حصداهُ
من عسل وعاجْ
في موسم الريح الغضوب
مسح الخرائط في العقول
وفي الدروبْ

— ١ — **الناسك**

النَّاسكُ المخذولُ في رأسي
يطلُّ عليَّ ، يسألني ، يحارْ :
« أهمات فرضك ، »
« هل جننتَ فزحت تحلم في النَّهارْ »
« حلم النهار »
« مدى النهار ؟ »
« هل كنت تتبع ذلك الجنّي »
« هل اغواك شيطان المغارَهْ ؟ »
— وحدي مع البدوية السمراءِ
كنت مع العبارَهْ
في الرمل كنت أخوض
عتمتَهُ ونارَهْ ،
شربُ المرارات الثقال
بلا مرارهْ .
— « ألغاز مجنونٍ » وعاد
لغرفة الآثار في رأسي ،
وللسلَعِ العتيقةِ ،
عاد منخلع الوقارْ

— ٢ —

طول النهارِ
مدى النهارْ
ألحين بعد الحين تعبر جبهتي
صُوَرٌ وتنبت في الطريقْ
صور يشوِّهُها الدوارْ
أمي ، أبي ، تلك التي
تحيا تموت على انتظارْ .
ألناسك المخذولُ في رأسي
يشدُّ قواهُ ينهرني ، أُفيقْ :
بيني وبين البابِ
صحراءٌ من الورق العتيقِ وخلفها
وادٍ من الورق العتيقِ وخلفها
جبلٌ من الورق العتيقْ

كيمبردج

خليل حاوي